ثـــأر

كان الاتحاديون ثملين بهذا الفوز الباهر الذى ظفروا به حين احتفلوا بوزير التقاليد مساء الخميس ، فشربوا الشاى وسقوه ، وسمعوا الكلام وألقوه فهضموا ماشربوا وماأكلوا وظلوا يعالجون ماسمعوا وماألقوا ، يهضمون بعضه على عسر ، ويتردد بعضه الآخر فى صدورهم وحلوقهم فلا يستطيعون أن يسيغوه .

وكان الشعبيون موتورين من هذا الفوز الذى ظفر به الحزب الشقيق ، لايستطيعون أن يقروه ولا أن يذوقوه ، ولا أن يغمضوا عليه العيون ، فكانوا يهيئون حفلا بحفل وأكلا خيرا من أكل وشرابا خيرا من شراب . وكانوا يهيئون الخطب الطوال يلقيها الوزير وأنصار الوزير . كلام بكلام وطعام بطعام . وليل فى سان استفانو بيوم فى وندسور . وكانت هيئة الوزارة تقدر ماظفرت به من الفوز على مكاتب الديلى تلغراف وهؤلاء الأغرار الذين ضحك من ذقونهم كما قال وزير التقاليد ، وتقدر ما ستظفر به من الفوز على هؤلاء المعارضين الذين أعمت بصائرهم الشهوات والمصالح الخاصة كما قال وزير الزراعة . وفى أثناء هذا كله كانت دماء المصريين تسيل فتخضب الأرض المصرية ، وكانت نفوس المصريين تزهق فتصعد فى السماء . وكانت الأيدى المصرية هى التى تسفك الدم المصرى وتزهق النفوس المصرية . وكانت ثورة الغضب والحنق قد انتهت بجماعة من المصريين إلى أقصاها . وكانت شياطين الإثم والإجرام قد ملكت على جماعة من المصريين قلوبهم فما تشعر ، وعقولهم فما تفكر ، وأيديهم فهى تطلق النار وتلعب بالسيف وتغمد الخناجر فى الصدور ، وتعمل العصى فى تهشيم الرءوس ، وتريق دماء المسلمين على بيت من بيوت الله .

كان هذا يوم الجمعة أثر الصلاة ، وحين كان الناس ينصرفون من هذا المكان الذى يجب أن تخرج منه النفوس طاهرة من كل رجس ، مبرأة من كل إثم . كل هذا كان يوم الجمعة ولم يكن فى دقيقة ولا فى دقيقتين ، ولم يكن فى لحظة ولا فى لحظات وإنما اتصل

كوكب الشرق فى ٣١ - ٧ - ١٩٣٣

وقتا غير قصير وانتهكت فيه حرمات وقتل فيه طفل صغيربين ذراعى أمه التى كانت تحمله .

كل هذا كان ولم يكن فجأة ولامصادفة وإنما كان بعد أن قدمت بين يديه المقدمات وبعد أن هيئت له الوسائل وبعد أن أرصد له المرصدون . فقد يقال إن الثأر بين المختصمين قديم ، وقد يقال إن مشاجرة كانت بين أفراد من المختصمين فأنذرت بالشر ونبهت إلى أن وقوع المكروه أمر ممكن .

كل هذا كان يوم الجمعة واستحالت قرية من قرى مصر ليست بعيدة من العاصمة إلى ميدان من ميادين القتال التى لايقتتل الناس فيها وجها لوجه ، وإنما هى مؤشبة ملتوية يكمن فيها بعض الناس لبعض ويمكر فيها بعض الناس ببعض ، ويرسل فيها بعض الناس إلى بعض الموت من حيث لايرجونه ، ولاينتظرونه . وقد حدثتنا الصحف بأن قوما من أهل هذه القرية هجموا على دار من دورها فغلق أهل الدار أبوابهم فهم المهاجمون بكسر الباب واقتحامه ، فلما شق عليهم ذلك عمدوا إلى جدار من جدران البيت ليهدموه ، ثم اقتحموا الدار وقتلوا من فيها وجرحوا .

وأحست ثلة الشرطة المرابطة فى هذه القرية هذا الشر فى أوله ، أو فى آخره أو فى إبانه فهمّت بقمعه فلم تجد إلى ذلك سبيلا . فاستعانت بالسلطة المركزية وأقبل المدد وقد قتل أربعة ونيف عدد الجرحى على العشرين . وأخذت النيابة منذ ذلك الوقت فى التحقيق . ومن قبل ذلك اعتدت قرية فى الصعيد ، ومن قبل ذلك أو من بعده ، لا أدرى ، التحمت قرية أخرى بقرية أخرى فى الصعيد أيضا . وكان فى كلتا الملحمتين صرعى ، منهم القتلى ومنهم الجرحى . ومن قبل ذلك ومن بعده أنبأتنا الصحف بأن الناس يصرعون على الطريق العام أحيانا ، وعلى أبواب دورهم أحيانا أخرى . وفى أثناء ذلك ينبئنا مكاتب للكوكب فى بعض الأقليم بأن ضابطا من ضباط الشرطة ضرب رجلا على رأسه فقضى عليه فمنحته الإدارة إجازة ليستريح أو ليفعل ماذا ؟ لاأدرى . فلو أنك تحدثت بهذا أو بشىء منه إلى رجل من الناس عن بلد من البلاد لما شك هذا الرجل فى أنك تحدثه عن بلد قد فسد فيه كل شىء ، وساء فيه كل شىء ، وهانت فيه على الناس دماؤهم ونفوسهم وحياتهم وحرماتهم . وأصبح من الحق على أولى الأمر فيه أن يبحثوا بحثا جادا ، لا لاعبا ، عن طريق يردون بها إلى الحياة والحرمات قيمتها ، وإلى القانون والسلطان هيبتهما . ولعله لن يتردد فى أن يسأل : وكيف لم تتخذ الحكومة فى هذا البلد إجراءات استثنائية لحماية الأمن وصيانة النظام؟ فلابد من أن تكون الإجراءات القانونية

العادية عاجزة عن ذلك ، مقصرة عن بلوغه والوصول إليه . فإذا نبأت صاحبك بأن أهل هذا البلد لايكادون ينفقون أياما حتى تنبئهم صحف الصباح بأن قنبلة قد انفجرت فى حى من الأحياء ، على طريق من الطرق الحديدية أو قرب دار من دور المصالح العامة لم يشك محدثك فى أن الحياة فى هذا البلد ليست شيئا يحب أو يرغب فيه . ومع ذلك فهذه حال مصر فى هذه الأيام ، تقع فيها كل هذه الحوادث ، وتتصل فيها كل هذه الجرائم ، ويتعرض أهلها لكل هذا الخطر ويخطب وزراؤها فى وندسور حينا وفى سان استفانو حينا آخر فيذكرون ضحك الانجليز من ذقون المصريين ، ويذكرون إعماء الشهوات لبصائر المعارضين ، ثم يركبون السفن إلى حيث يقضون صيفا سعيدا حلوا فيه لذة وراحة وفيه ترف ونعيم .

ووزير داخليتنا – بشهادة مكاتب الديلى تلغراف الذى يرد عليه رئيس الوزراء ووزير الاوقاف ، ووزير التقاليد ووزير الزراعه وأنصارهم . وزير داخليتنا هو أقوى الوزراء وأكفأ الوزراء ، وأقدر الوزراء على إرضاء الناس جميعا وكسب ثقة الناس جميعا . وهو كذلك من غير شك ، فهو لا يخطب ولا يكتب ولا يذكر الانجليز ، ولا يذكر المصريين، ولا يهاجم بلسانه هذا و ذاك ، ولا يذود بلسانه عن هذا ولا ذاك . وهو خليق لهذا كله أن يرضى عنه الناس جميعا ، لا ينقصه إلا شيء واحد ليبلغ هذا الرضا ، وهو أن يوفق إلى أداء الواجب الذى من أجله ارتقى الوزارة ، والذى من أجله أؤتمن على حياة الناس وحرياتهم ومنافعهم وأموالهم ، فيحمى لهم الأمن ، أمن الشعب ، لا أمن الوزارة ، ويقر لهم النظام حقا ، ويمكن كل واحد منهم من أن يدخل المسجد ويخرج منه دون أن يصرع على عتبة المسجد ، ودون أن تخضب عتبة المسجد بدمه الحرام .

لهذا قبل كل شيء ارتقى وزير الداخلية إلى منصبه ، وبهذا قبل كل شيء يجب أن يعنى وزير الداخلية ، وفى هذا قبل كل شيء يجب أن ينفق وزير الداخلية وقته وجهده ، بل لهذا قبل كل شيء يجتمع مجلس الوزراء ، وبهذا قبل كل شيء يجب أن يشتغل مجلس الوزراء ، فهذا أمس بحياة مصر من إنشاء جراج لسيارات الحكومة فى الاسكندرية ، ومن شراء طيارات قبل أن ينعقد مؤتمر الطيران ، ومن الرد على مكاتب الديلى تلغراف وبعض الكتاب المصريين فى الصحف المصرية . ومن غريب الأمر أن وزير داخليتنا هو أقدر الوزراء فيما ينبغى على ضبط الأمن وإقرار النظام ، فهو رجل قد أنفق حياته في الإدارة . عمل فى الأمن العام دهرا ، وعمل فى وكالة الداخلية دهرا ، وهو الآن وزير

الداخلية . فهو لم يستعر لوزارته استعارة من القضاء أو من المحاماة أو من أى ناحية من نواحى الحياة العامة . وإنما تولى وزارة الداخلية على علم بشئونها وإتقان لأمورها . فهو صاحب صناعة وفن ، وهو صاحب دراية وخبرة ، فكيف فسد الأمن واضطرب النظام فى عهده إلى هذا الحد المنكر الغريب ؟ أتراه سيىء الحظ ؟ أم تراه مشغولا عن الأمن والنظام بما يستنفد وقته وجهده وكفايته ؟ أم ترى أن الأمر قد فسد فى هذا البلد إلى حيث لم يبق سبيل إلى إصلاحه إلا إذا ذهب قوم وخلفهم قوم آخرون ؟ علم هذا عند الوزراء وعند الناس جميعا وعند مكاتب الديلى تلغراف وعند المصدر الموثوق به الذى أوحى إلى مكاتب الديلى تلغراف . وماذا ينفع أن يكون هذا معلوما أو مجهولا مادام الشر يقع ويتصل وتظهر نتائجه المنكرة ، فلا يحفل به أحد ، أولا يكاد يحفل به أحد حتى أصبحت مصر ، نعم مصر كهذه الأجزاء التى يتحدث عنها الناس فى الصحراء ، والتى يغير فيها بعض القبائل على بعض ويغزو فيها بعض القبائل بعضا ، ويثأر الناس فيها لأنفسهم . ماذا نقول ؟ إن الأنباء مستفيضة بأن الحكومة العربية السعودية قد أقرت فى صحراء جزيرة العرب أمنا لاتحلم به مصر ، فبطل فيها الغزو ، والغارة وأمن الناس فيها على سرى الليل وسفر النهار ، ولم لا ؟ ليس عند الحكومة العربية السعودية وفد تحاربه وتطارده وتشتغل بحربه ومطاردته عن تعقب المجرمين وحماية الأنفس والأموال .

ومهما يكن من شيء فقد استطاع أهل نزلة الشوبك أن يثأر بعضهم من بعض واستطاع حزب الشعب أن يثأر من حزب الاتحاد ، واستطاعت الوزارة أن تثأر من مكاتب الديلى تلغراف . ووزير داخليتنا قادر إن شاء الله على أن ينبئنا أى هذه الثارات خليق بالعناية والتفكير .